بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فيقول الله -تبارك وتعالى -في هذه السورة الكريمة سورة البقرة: **(الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (146) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) (147)**

(الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) أي: إنَّ اليهود والنَّصارى يَعرِفون من توراتهم وإنجيلهم أنَّ محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم حقٌّ، وأنَّ ما جاء به -مِثل صِحَّة التوجُّه نحوَ الكعبة في الصَّلاة-حقٌّ؛ يعرفون ذلك عن يقين تامٍّ، يُماثل يقينَهم بأبنائهم؛ إذ لا يَشتبهون عليهم بغيرِهم.موسوعة التفسير

قال السعدي: يخبر تعالى: أن أهل الكتاب قد تقرر عندهم، وعرفوا أن محمدا رسول الله، وأن ما جاء به حق وصدق، وتقينوا ذلك كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم، فمعرفتهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وصلت إلى حد لا يشكون فيه ولا يمترون، ولكن فريقا منهم -وهم أكثرهم -الذين كفروا به كتموا هذه الشهادة مع تيقنها وهم يعلمون.

(الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) (يَعْرِفُونَهُ) الضميرعائد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يعرفونه معرفة جلية، يميزون بينه وبين غيره كما يعرفون أبناءهم، لا تشتبه عليهم وأبناء غيرهم.

(كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) أي: كما يعرف أحدهم ابنه لا امتراء ولا شك

قال في التسهيل (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ) مبالغة في وصف المعرفة.

وإنما كانوا يعرفونه كمعرفتهم أبناءهم، لما جاء في كتبهم من البشارة به صلى الله عليه وسلم وذكر صفاته، وكمال دينه، وفضيلة أمته، قال تعالى (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ).

عن عمر رضي الله عنه أنه سأل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أنا أعلم به مني بابني، قال: ولم؟ قال: لأني لست أشك في محمد أنه نبي وأما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه).

(وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أي: ومع وضوح الحقِّ، وتيقُّن معرفتِه، إلَّا أنَّ طائفةً منهم يَكتُمون النَّاس عن عمْد، ما في كُتُبهم من صِفة النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وما جاء به من التوجُّه نحو الكعبة وهو الحق. موسوعة التفسير

(وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أن محمد على الحق ومع هذا كتموه.

⇦فيه تحريم كتم العلم والحق، وأن من فعل ذلك ففيه شبه من اليهود.

قال السعدي: فالعالم عليه إظهار الحق، وتبيينه وتزيينه، بكل ما يقدر عليه من عبارة وبرهان ومثال، وغير ذلك، وإبطال الباطل وتمييزه عن الحق، وتشيينه، وتقبيحه للنفوس، بكل طريق مؤد لذلك، فهؤلاء الكاتمون، عكسوا الأمر، فانعكست أحوالهم.

(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) أي: اعلمْ يا محمَّد، أنَّ الحقَّ وحده هو الذي جاءك من ربِّك، لا ما يقوله اليهود أو النَّصارى، أو غيرهم؛ فلا يحصُل لك أدنى تردُّدٍ وريبةٍ فيه.موسوعة التفسير

(الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) أي: ما أوحاه الله إليك يا محمد من أمر القبلة هو الحق الثابت.

(فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) أي: فلا تكونن من الشاكين.

⇦والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته.

قال خالد السبت: ما جاء به هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، فقال :(الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) [سورة البقرة:147] والامتراء المقصود به الشك، وهل كان رسول الله ﷺ شاكاً؟ الجواب طبعاً: لا، حاشا وكلا، فهو أوثق الأمة إيماناً، وأعلمهم بالله تعالى، والنهي عن الشيء لا يقتضي وقوعه من هذا المنهي عنه، وإنما هو للتحذير من ذلك.

قال سليمان اللهيميد: عندما يكون الخطاب لاقرب المقربين، وللمصطفى صلى الله عليه وسلم، بهذه القوة يجب على من هم دونه ان ترتعد أوصالهم، من كتمان العلم، ومخالفة الحق لأنهم حينئذ ظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب الرباني.

قال سعيد مصطفى ذياب: إذا استبانَ لك الحقُ، واتضحتْ مَعَالِمُهُ، واستنارتْ لك سُبُلُهُ، فاحرصْ على أن تكون من أنصارِهِ، وإياك أن تكون من المتشككين المرتابين، فإنه لا يستوي عند اللهِ تعالى مَنْ كَانَ مِنْ أهلِ اليقينِ، ومَنْ كَانَ مِنَ الشَّاكِّينَ.

(وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

(وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا) أي: إنَّ لكلِّ أهل مِلَّةٍ قِبلةً يستقبلونها في صلاتهم، سواء كانت ممَّا ابتدعوه من تِلقاء أنفسهم، أو كانت ممَّا شرَع الله تعالى لهم.موسوعة التفسير

قال الطبري: أي: لكل أمة من الأمم قبلة هو موليها ومتوجه لها، يعني بذلك أهل الشرائع، لليهودي وجهة هو موليها، وللنصراني وجهة هو موليها، وهداكم أنتم أيتها الأمة إلى القبلة التي هي القبلة .

قال ابن كثير: وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً).

قال الشوكاني: قوله تعالى (هو موليها) الضمير راجع إلى لفظ (كل) أي: لكل صاحب ملة قبلة، صاحب القبلة موليها وجهه.

قال سعيد مصطفى ذياب: لكل إنسان هدف يسعى إليه، ومقصد يتوجه إليه، منهم من يرجو النجاة، ولم يسلك مسالكها، أجْهَدَ نَفْسَهُ، وضَلَّ سَعْيُهُ، {عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً}. سورة الْغَاشِيَةِ: الآية/ 3، 4

ومنهم من يهيم على وجهه، ويمشي من غير تبصر، {اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ}، يَحْسَبُ أنه خُلِقَ عَبَثًا، وَأَنَّه تُرِكَ سُدًى، وَأَنَّه ليس إِلَى اللهِ راجِعٌ .

وأكثرهم يسعى إلى الهلاك سعيًا حثيثًا، ويغذ السير في دروبه، ويدعو غيره إليه، {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ}. سورة الأعراف: الآية/ 202

فاحرص أنت أن تكون من السابقين إلى الخيرات، فإنك على الجادة، معك حاد يحدو بك، ودليل يهديك السبيل، كتاب الله، ولا تستوحش من قلة أهل الحق، فأنت والحق جماعة، ولا تغتر بكثرة أهل الباطل، فقد حكم الله تعالى على الكثرة حكمًا مطلقًا، بإنهم لا يعلمون، وأنهم لا يؤمنون، وأنهم لا يشكرون.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: اتبع طريق الحق، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين.

(فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) أي: بادِروا وسارعوا باغتِنام الطاعات، ومن ذلك استقبال القِبلة التي أمَر الله تعالى بها.موسوعة التفسير

فبادروا إلى امتثال أمر الله تعالى، واستقبال قبلتكم التي وجهكم إليها، والتقرب إلى الله تعالى بهذا الامتثال، وبالصلاة نحوها إلى غير ذلك.

مُناسبة الآية لِمَا قبلها : لَمَّا كانت توليتُهم وجوهَهم نحوَ القِبلة إنما هو لأجْل تزكيةِ النفس وخلاصِها، وكان ذلك لا يحصُل إلَّا بفعل الخير واجتنابِ الشرِّ؛ قال تعالى

قال الشوكاني: أي: بادروا إلى ما أمركم الله من استقبال البيت الحرام كما يفيده السياق، وإن كان ظاهره الأمر بالاستباق إلى كل ما يصدق عليه أنه خير كما يفيده العموم المستفاد من تعريف الخيرات.

قال السعدي: والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها يتضمن فعلها وتكميلها، وإيقاعها على أكمل الأحوال، والمبادرة إليها.

قال سليمان اللهيميد: فينبغي للمسلم أن يبادر للخيرات والأعمال الصالحات الواجبات والمستحبات كما أمر الله بذلك.

قال تعالى (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) ال عمران133

وقال تعالى (سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)21الحديد.

وقال تعالى (وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (26) المطفيفين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَالَ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ (التبكير إلى الصلاة) لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ (العشاء) وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوا» (صحيح البخاري).

وامتدح أولياءه بأنهم (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ (90) الأنبياء) و(أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (61) المؤمنون.

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته يبادرون للخيرات.

فقد ثبت في البخاري عن عقبة بن الحارث قال (صليتُ وراء النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة العصر، فسلم ثم قام مسرعاً فتخطى رقاب الناس إلى بعض حُجَر نسائه، ففزع الناس من سرعته، فخرج عليهم، فرأى أنهم قد عجبوا من سرعته، قال: ذكرت شيئاً من تِبْرٍ عندنا، فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته .(التبر: قطع ذهب أو فضة).

وقال الشيخ اللهيميد من المسارعة إلى الخيرات التأسف على فواتها، ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: كان الفقراء يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير مما يقدر عليه غيرهم

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ -وَهَذَا حَدِيثُ قُتَيْبَةَ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه والسلام فَقَالُوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ فَقَالَ «وَمَا ذَاكَ». قَالُوا يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ وَيَتَصَدَّقُونَ وَلاَ نَتَصَدَّقُ وَيُعْتِقُونَ وَلاَ نُعْتِقُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «أَفَلاَ أُعَلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلاَ يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلاَّ مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ». قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ مَرَّةً» قَالَ أَبُو صَالِحٍ فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام فَقَالُوا سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ) رواه مسلم

وعن عبد الله بن عمرو أن رجلًا قال: يا رسولَ اللهِ، إن المؤذنين يَفْضِلوننا؟ فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: قلْ كما يقولون، فإذا انتهيتَ فسلْ تُعْطَه) صحيح أبي داود

ثانياً: الحزن على التخلف عن الخروج في الجهاد لعدم القدرة على آلته.

كما قال تعالى (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ) (92) التوبة

ثالثاً: التأسف على فعل الطاعة.

فإن ابن عمر لما بلغه حديث (من صلى على جنازةٍ، فله قيراطٌ، ومن يتبعها حتى يُقضَى دفنُها، فله قِيراطانِ، أصغرهُما مثلَ أُحُد فذكر ذلك لابن عمرَ، فتعاظمهُ، فأرسلَ إلى عائِشةَ يسألُها، فقالت: صدقَ أبو هريرةُ، فقال ابن عُمَرَ: لقد فرطنَا في قراريطَ كثيرةٍ) صحيح الترميذي

لماذا ينبغي أن نبادر ونسارع إلى الخيرات؟

أولاً: استجابة لأمر الله ورسوله.

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ...)24الأنفال

ثانياً: قبل حدوث الشواغل من فقر أو موت أو هرم أوسقم.

وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ " رواه الحاكم.

ثالثاً: قبل الفتن المانعة من العمل.

كما قال صلى الله عليه وسلم (بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا). رواه مسلم

فالإنسان ينبغي أن يبادر بالأعمال الصالحة قبل وقوع الفتن فينشغل بها، فتشغله عن التفرغ للعمل الصالح، كما هو حال كثير من الناس الآن.

من أقوال السلف:

وكان أبو بكر بن عياش يقول: لو سقط من أحدكم درهم لظل يومه يقول: إنا لله ذهب درهمي وهو يذهب عمره ولا يقول: ذهب عمري وقد كان لله أقوام يبادرون الأوقات ويحفظون الساعات ويلازمونها بالطاعات.

وقال سعيد بن المسيب: ما تركت الصلاة في جماعة منذ أربعين سنة .

وكان سعيد بن جبير: يختم القرآن في ليلتين.

عثمان وَتَمِيمٌ الدَّارِيُّ رضي الله عنهما: قرأ القرآن ليلة في ركعة لم يصل غيرها

وقيل لعمرو بن هانئ: لا نرى لسانك يفتر من الذكر فكم تسبح كل يوم؟ قال: مائة ألف إلا ما تخطئ الأصابع

وصام منصور بن المعتمر أربعين سنة وقام ليلها وكان الليل كله يبكي فتقول له أمه: يا بني قتلت قتيلاً فيقول: أنا أعلم بما صنعت نفسي.

وقال بعض السلف: اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها، واعمل للآخرة على قدر مكثك فيها .

(أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

مُناسبة الآية لِمَا قبلها قال السعدي: لَمَّا أمَر الله تعالى بالمسابقةِ إلى الخيرات، وكان أقوى ما يَحثُّ النفوسَ على المسارعةِ إلى الخير، ويُنشِّطها: ما رتَّب الله عليها مِن الثوابِ؛ قال

(أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) أي: يحثُّ الله تعالى عبادَه على المسارعة إلى الأعمال الصَّالحات قبل الممات، بإعلامهم أنَّ مرجعهم جميعًا إليه، وسيُحشَرون إليه من أي جِهة ماتوا فيها؛ فهو سبحانه القادِر الذي لا يُعجِزه ذلك، ولا أيُّ شيءٍ سواه.موسوعة التفسير

قال سليمان اللهيميد أي: في موضع تكونوا من أعماق الأرض أو قمم الجبال يجمعكم الله للحساب فيفصل بين المحق والمبطل (لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31) النجم

(إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

قال ابن كثير أي: هو قادر على جمعكم من الأرض، وإن تفرقت أجسادكم وأبدانكم.

قال سعيد مصطفى ذياب: كيف ستأتي الله تعالى يوم القيامة؟ كالعبد الآبق؟ الذي فر من سيده فَأُتِيَ به مكبلًا، مغلولًا، يغشاه الخزي، وتعلوه الكآبة؟ هل ستأتي الله تعالى كارهًا للقائه؟ {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا}. سورة النساء: الآية/ 42

أم ستأتي الله تعالى فرحًا مستبشرًا مسرورًا؟ {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ}. سورة عَبَسَ: الآية/ 38 -41

هما صنفان يوم القيامة لا ثالث لهما، فاختر لنفسك، واعلم أنك في المهلة، يمكنك أن تتدارك أمرك.

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (149)

مُناسبة الآية لِمَا قبلها: لَمَّا عَظُم في شأن القِبلة انتشارُ أقوال أهل الكتاب في تنويعِ شغبِهم وجدالِهم، وكانوا أهلَ عِلم وكتاب، وقد مرَّت لهم دهورٌ وهم موسومون بأنَّهم على صواب، فاشرأبَّ لذلك النِّفاق، ودارت رَحَى الباطِل والشِّقاق، كان الحال مقتضيًا لمزيد تأكيد لأمرها؛ تعظيمًا لشأنها، وتوهيةً لشُبه السُّفهاء فيها، فقال جلَّ وعلا :

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أي: ومِن أيِّ موضعٍ خرجتَ يا محمَّد، في سفرٍ كان أو غيره، فتوجَّهْ نحوَ الكعبة للصَّلاة.موسوعة التفسير

(وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) أي: إنَّ توجُّهك نحو الكعبة يا محمَّد، حقٌّ ثابت لا شكَّ فيه. موسوعة التفسير

(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) أي: إنَّ الله تعالى ليس بساهٍ عن عمَل أحد، بل هو مطَّلعٌ على الأعمال جميعِها، وسيُجازي صاحب كلِّ عملٍ بحسب ما قدَّمه، إنْ خيرًا فخير، وإنْ شرًّا فشر. موسوعة التفسير

هذا أمر ثالث من الله تعالى باستقبال المسجد الحرام من جميع أقطار الأرض، وقد اختلفوا في حكمة التكرار ثلاث مرات

قال الرازي: أن هذه الواقعة أول الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة إلى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة وإيضاح البينات.

إفادة التوكيد بشأن القبلة وذلك أن هذه القضية صارت محل جدل وشغب وإثارة شبهات على أهل الإيمان واستغلها اليهود فكان هذا التأكيد مرة بعد مرة؛ لئلا يتسلل الشيطان إلى النفوس فيحصل شيء من التردد ويُزعزع الإيمان، ويحصل شيء من الريب، أو الشك، فهذا كان بحاجة إلى تأكيد وإلى تجذير وتعميق في النفوس؛ من أجل أن يحصل الثبات على الحق، وعلى هذه القبلة، هذا بالإضافة إلى كل موضع من هذه المواضع يتعلق بما قبله مباشرة :(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) [سورة البقرة:150] فيكون متصلاً بما قبله، ومتعلقًا به وليس بتكرار مجرد.خالد السبت

قال السعدى: وكان صرف المسلمين إلى الكعبة، مما حصلت فيه فتنة كبيرة، أشاعها أهل الكتاب، والمنافقون، والمشركون، وأكثروا فيها من الكلام والشبه، فلهذا بسطها الله تعالى، وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات، التي تضمنتها هذه الآيات

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (150)

مُناسبة الآية لِمَا قبلها : لَمَّا تَقرَّر بما تكرَّر أنَّ تحويل القبلة فرضٌ في حقِّه صلَّى الله عليه وسلَّمَ حتمٌ لا فتورَ عنه، ولا رُخصة فيه؛ إلَّا ما استُثني، أدْخل معه أمَّته؛ ليَعُمَّهم الحُكم، ورَبَأ بالمؤمنين عن أن يكون لأحدٍ عليهم حُجَّة؛ فقال :

(وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ) أي: ومِن أيِّ موضعٍ خرجتَ يا محمَّد، في سفرٍ كان أو غيره، فتوجَّهْ نحوَ الكعبة للصَّلاة، وفي أيِّ موضعٍ وَجهةٍ كنتم- أيُّها المؤمنون- فعليكم أيضًا أن تستقبلوا الكعبةَ وتتوجَّهوا ناحيتَها عند إرادة الصَّلاة. موسوعة التفسير

(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) أي: حوَّلنا قِبلتَكم إلى الكَعبة؛ كي لا يحتجَّ اليهودُ عليكم قائلين: إنكم ما دُمتم قد وافقتمونا في قِبلتنا نحو بيت المقدس، فلِمَ تَعيبون دِينَنا، ولِمَ لا تتبعون ملَّتَنا؟ **(إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)** لكن ستبقى حُجَّة الظالمين -وهم مشركو قريش -الذين يحتجُّون عليكم بالباطل قائلين: إنكم ما دُمتم قد عُدتم إلى قِبلتنا، فلا بدَّ أن تتَّبعوا دِيننا. موسوعة التفسير

قال وتأمل قوله -تبارك وتعالى :(إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) [سورة البقرة:150] فإنه يدل على أن الظالم يعني الذي لا يريد الحق أصلاً ليست المسألة عنده موضع ليس وإنما ذلك من أجل إبطال الحق وتشويهه ودفعه وإقرار الباطل، فمثل هؤلاء لن ينقطعوا ولن ينتهوا :(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) [سورة البقرة:150] فهؤلاء لن يتوقفوا، فشغبهم دائم وتلبيسهم دائم وهم ينتهزون الفُرص سواء كان ذلك في مقام تحويل القبلة أو في غيره، وهذا في طوائف المشركين، وأهل الكتاب، والمنافقين على حد سواء.

قال الشيخ ابن عثيمين: والأقرب عندي -والله أعلم – أنه استثناء منقطع والمعنى: لئلا يكون للناس عليكم حجة، لكن الذين ظلموا منهم لن تنجوا من محاجتهم ومخاصمتهم.

قال الشيخ عبد العزيزالطريفي: الهداية لا تعرف بقناعة النفس بها، وانما بدلالة الله عليها، فكم من ضال يحسب انه على حق، (وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) (37)الزخرف

يجب تطويع النفس للدليل، لا تطويع الدليل للنفس، من اراد الحق جعل الدليل فوق النفس والهوى والشيطان والدنيا، فمتى علا اي واحد منهم فوق الدليل ضل وهلك.

(فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي) أي: لا تخشَوا هؤلاء الظلمةَ المتعنتين، ولا حُجَجهم الباطلة، وأفردوا الخشية لي؛ فإنِّي وحْدي المستحقُّ لذلك. موسوعة التفسير

قال سليمان اللهيميد: فلا تخشوا هؤلاء الظلمة المعاندين المخالفين للحق من اليهود والمشركين والمنافقين مهما قالوا، ومهما أرادوا بكم من أذى.

(وَاخْشَوْنِي) أي: وخافوني وأفردوني بالخشية، فأنا القادر على نصركم، وحفظكم منهم.

والخشية أخص من الخوف، والفرق بينهما من وجوه:

أولاً: الخشية مع العلم، كلما زاد العلم عن الله أنه، الواحد الاحد القاهر، العزيز الرحمن المهيمن، وافعاله يحي يميت، يعطي الملك لمن يشاء وينزع الملك ممن يشاء، يرزق، زادت الخشية وزاد التعظيم.

ثانياً: الخشية تكون لعظمة المخشي، وأما الخوف لضعف الخائف أو يكون المخوف منه قوياً

قال تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ....)28فاطر

قال الرازي: فالمعنى لا تخشوا من تقدم ذكره ممن يتعنت ويجادل ويحاج، ولا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فإنهم لا يضرونكم، واخشوني، يعني احذروا عقابي إن أنتم عدلتم عما ألزمتكم وفرضت عليكم،

وهذه الآية يدل على أن الواجب على المرء في كل أفعاله وتروكه أن ينصب بين عينيه: خشية عقاب الله، وأن يعلم أنه ليس في يد الخلق شيء ألبتة، وأن لا يكون مشتغل القلب بهم، ولا ملتفت الخاطر إليهم

قال القرطبي: ومعنى الآية التّحقير لكل مَن سوى الله تعالى، والأمر باطراح أمرهم ومراعاة أمر الله تعالى

لا يملك لك النفع إلا الله، ولن يدفع عنك الضر إلا الله، فلا تنشغل إلا بالله.

قال سعيد مصطفى ذياب: فلا ترجو غيره، ولا تخش سواه، ألم تسمع إلى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ}. سورة يُونُسَ: الآية/ 107

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}. سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ 150

تأمل كيف قدم الله عز وجل الغاية على الوسيلة! فإن تمام النعمة دخول الجنة، وهي غاية العبد، ومنتهى أمله، ودليل رضى الله تعالى عنه، والهدى سبب دخولها، والسبيل الموصل إليها، ولما كانت الغايات أعظم من المقاصد، قدمها الله تعالى؛ لتتشوف النفس إليها، ثم تسعى لتحصيل السببِ الْمُوَصِّلِ إليها، وهو الأخذ بأسباب الهداية، والاستقامة عليها.

في الآية الأمر بخشية الله وخوفه، وللخوف من الله فضائل مبحث للشيخ سليمان اللهيميد:

أولاً: أنه من علامات الإيمان.

قال تعالى (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (175) ال عمران

ثانياً: مدح الله أنبياءه بالخوف منه.

كما قال تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (90) الأنبياء

ثالثاً: الخوف من الله يجعل الإنسان في ظل العرش يوم القيامة.

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث السبعة (ورَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ، أخْفَى حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ) صحيح بخاري

رابعاً: الخوف سبب للنجاة من كل سوء.

قال صلى الله عليه وسلم (ثلاثٌ مُنجِياتٌ: خشيةُ اللهِ في السرِّ والعلانيةِ....) السلسة الصحيحة

خامساً: أثنى الله على ملائكته بشدة خوفهم منه.

كما قال تعالى (وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (28) الأنبياء

سادساً: من صفات الرجال العظماء.

قال تعالى (رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)(37) النور

سابعاً: من صفات الأبرار خوفهم من عدم القبول

قال تعالى (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) (60)المؤمنون

⇦أي: والذين يعطون ويعملون ويخافون أن لا يتقبل منهم.

ثامناً: وعد الله الخائفين الجنة.

كما قال تعالى (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)

تاسعاً: أنه من صفات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

قال صلى الله عليه وسلم (أما واللَّهِ إنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وأَتْقَاكُمْ له) رواه مسلم.

وعن أنس قال (خَطَبَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خُطْبَةً ما سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قالَ: لو تَعْلَمُونَ ما أعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، ولَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، قالَ: فَغَطَّى أصْحَابُ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ وُجُوهَهُمْ لهمْ خَنِينٌ) بخاري

عاشراً: من أسباب النجاة من النار.

قال ﷺ (عَينانِ لا تمسُّهما النَّارُ: عينٌ بَكَت من خشيةِ اللَّهِ، وعَينٌ باتت تحرُسُ في سبيلِ اللَّهِ) صحيح الترمذي.

قال ﷺ (من خافَ أدلَجَ، ومن أدلَجَ بلغَ المنزلَ، ألا إنَّ سلعةَ اللَّهِ غاليةٌ، ألا إنَّ سلعةَ اللَّهِ الجنَّةُ)صحيح الترمذي.

(قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) (16) الأنعام

⇦قال بعض السلف: إذا سكن الخوف في القلب أحرق موضع الشهوات منه.

الحادي عشر: سبب في إخلاص العمل لله.

(إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا)(10)الانسان

الثاني عشر: سبب لعلو الهمة في العبادة.

قال تعالى (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)(16)السجدة

الرابع عشر: الخوف يجعل العبد سائراً على طريق الهداية.

قال ذو النون المصري: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق

الخامس عشر: الخوف يضفي المهابة على صاحبه.

قال عمر بن عبد العزيز: من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: وعلى قدر خوفك من الله يهابك الخلق.

السادس عشر: الخوف من أسباب قبول الدعاء.

قال تعالى (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) (56) الأعراف

السابع عشر: الخوف من أسباب الانتفاع بكلام الله تعالى.

قال تعالى (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ) (45) ق

من أقوال السلف:

قال أبو سليمان الداراني: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب.

وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة، وزينة العبادة الخوف من الله .

وحين سئل عطاء السليمي: ما هذا الحزن؟ قال ويحك؟ الموت في عنقي، والقبر بيتي، وفي القيامة موقفي، وعلى جسر جهنم طريقي، لا أدري ما يصنع بي؟

وقال الفضيل: من خاف الله دله الخوف على كل خير.

وقال السبكي رحمه الله: ما خفت الله يوما، إلا رأيت له بابا من الحكمة والعبرة ما رأيته قط.

وقال حكيم: الحزن يمنع الطعام، والخوف يمنع الذنوب.

(فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (150)

(وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ) أي: شرَعت لكم استقبال الكعبة؛ لأُكمل لكم شرائعَ ملَّتكم الحَنيفيَّة.موسوعة التفسير

إثبات حكمة الله -تبارك وتعالى-يعني: اللام هنا للتعليل، فأفعال الله -تبارك وتعالى-هي لِحِكم بالغة، أفعال الله مبناها على الحكمة، له الحكمة البالغة، فلا يقع شيء في هذا الكون إلا وفق علمه المحيط، وإرادته الشاملة وحكمته البالغة.خالد السبت بتصرف

اتم الله النعمة على الامة المحمدية، باصطفائهم بالقران والاسلام وخاتم النبين، ويوم الجمعة، وقبلة ابونا ابراهيم عليه السلام، دخول الجنة قبل جميع الأمم، والشهادة على تبليغ الانبياء اممهم، فلك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

(وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) أي: ومن أسباب تحويل القبلة إلى الكعبة أنْ ترجُوا بامتثال أوامر الله تعالى نيلَ هُداه، فتَعلموا الحق وتعملوا به؛ ابتغاءَ رِضاه.موسوعة التفسير

قال ابن كثير: أي: إلى ما ضلت عنه الأمم وهديناكم إليه وخصصناكم به .

و (لعل) هنا بمعنى التعليل بمعنى (لأجل) وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، لأجل أن تهتدوا.